الذكاء الاصطناعيّ وإشكاليّة الإتيقا:
مقاربة نقديّة

Artificial Intelligence and Ethical Issues:
A Critical Approach

د. قاسم بن ادريس شرف

جامعة ابن طفيل بالقنيطرة
المغرب

Kamiacha30@gmail.com

الذكاء الاصطناعيّ وإشكاليّة الإتيقا ـــــــ

« العلم بدون وعي ليس سوى خراب للروح»

فرانسوا رابليه

1- مقدّمة:

يشهد العالم المعاصر ثورة تقنية غير مسبوقة بقيادة الذكاء الاصطناعيّ، الذي لم يعد مجرد أداة تقنية لتحسين الكفاءة، بل أضحى قوة فاعلة تعيد تشكيل البنى الاجتماعية والقيم الإنسانية. ومع هذا التغلغل المتسارع للأنظمة الذكية في تفاصيل الحياة اليومية، برزت حاجة ملحة لمساءلة المبادئ الأخلاقية التي تحكم هذه التقنيات. تأتي هذه الورقة البحثية لتستعرض الأبعاد الأخلاقية والاجتماعية المحيطة بالذكاء الاصطناعيّ، مسلطةً الضوء على الإشكالات الإتيقية التي قد تنبثق عن "التفكير الآلي" واستقلالية الخوارزميات. وتتمحور الدراسة حول تساؤلين جوهريين:

1. **ما هي القضايا الإتيقية والقيمية** التي تفرضها هندسة الذكاء الاصطناعيّ على المجتمعات الحديثة؟
2. **كيف يمكن صياغة أطر عملية** لتخطي هذه التحديات أو التقليل من المخاطر بما يضمن مواءمة التقنية مع الكرامة الإنسانية؟

لمواجهة هذا التعقيد المتأصل في العلاقة بين التكنولوجيا والأخلاق، تعتمد هذه الدراسة على منهجية تحليلية نقدية، تتجسد خطواتها فيما يلي:

- **المنهج الوصفي التحليلي :** لرصد وتوصيف أهم المفاهيم الإتيقية المرتبطة بالذكاء الاصطناعيّ (مثل التحيز الخوارزمي، الخصوصية، والمسؤولية القانونية للآلة).
- **المقاربة الفلسفية النقدية:** لفحص الأسس القيمية التي تقوم عليها الأنظمة الذكية، ومناقشة مدى قدرة النظريات الأخلاقية الكلاسيكية على استيعاب مستجدات "الذكاء غير البشري".
- **الأسلوب الاستشرافي:** عبر اقتراح حلول ومعايير (مثل الأخلاق بالتقادم) التي تهدف إلى الحد من التأثيرات السلبية للذكاء الاصطناعيّ قبل وقوعها.

انتقل الذكاء الاصطناعيّ من كونه حقلاً تجريبياً إلى واقعٍ يجسد محاكاة الآلة للعمليات الإدراكية والتعلمية التي ميزت الإنسان تاريخياً. هذا التطور المتسارع لم يكتفِ بإحداث ثورة في الأداء المهاري، بل امتد ليعيد صياغة مجالات حيوية كالعلوم والتواصل؛ حيث أصبحت الخوارزميات وسيطاً يتحكم في انتقاء المحتوى المعرفي للأفراد. ومع أن هذا التقدم أتاح قدرات هائلة في تحليل البيانات الكبرى، إلا أنه وضع المجتمع الإنساني أمام تحديات أخلاقية واجتماعية تتطلب إعادة النظر في طبيعة العلاقة بين الإنسان والآلة. لقد أدى التسارع المطرد في تقنيات الذكاء الاصطناعيّ إلى بزوغ "أخلاقيات الذكاء الاصطناعيّ" كحقلٍ حيوي ضمن الأخلاقيات التطبيقية. وقد تبنى الفاعلون في هذا المجال—من تقنيين وفلاسفة وصناع قرار—منهجية "المقاربة القائمة على المبادئ(Principalism) "، التي تبلورت في مجموعات معيارية تهدف لضمان تطوير أنظمة مسؤولة. وتتمحور هذه المبادئ حول قيم جوهرية كالشفافية، والعدالة، والمساءلة،

الذكاء الاصطناعيّ وإشكاليّة الإتيقا ـــــــ

2- مقاربة مفهومي الذكاء الاصطناعيّ وسؤال الإتيقا: نحو رؤية نقدية:

يُعدّ تقاطع مفهومي الذكاء الاصطناعيّ والأخلاق (الإتيقا) من أبرز الإشكالات الفكرية المعاصرة التي تفرضها التحولات العميقة للعصر الرقمي. فالتطور التكنولوجي المتسارع لا يقتصر على إحداث نقلات نوعية في مجالات المعرفة والإنتاج، بل يثير كذلك أسئلة ابستيمولوجية وأنطولوجية حول حدود الإرادة البشرية، وطبيعة التفاعل بين الإنسان والآلة، ومستقبل القيم في بيئة رقمية تتزايد هيمنة الخوارزميات على تشكلها. ولا يمكن حصر العلاقة بين بين الإتيقا والتقنية في نطاق ضيق يتمثل في " تقنين السلوك التقني وفق المعايير الأخلاقية"، إذ يتجاوز الأمر ذلك إلى تساؤلات أكثر اتساعا وعمقا: كيف تُعيد التقنيات الذكية صياغة المفاهيم الأخلاقية المركزية مثل العدالة والمسؤولية والخصوصية؟ وما موقع حرية الإرادة الإنسانية في منظومات تتخذ قراراتها بصورة شبه مستقلة عن التدخل البشري المباشر؟ ثم كيف يمكن ضمان نزاهة المعطيات التي تُغذّي خوارزميات الذكاء الاصطناعيّ وموثوقية نتائجها؟

انطلاقا من المقاربة المنهجية السديدة، من الضروري تحديد الإشكالية تأطير المفاهيم الأساسية التي تنبني عليها. فدراسة العلاقة بين الذكاء الاصطناعيّ والإتيقا تتطلب تحديدا واضحا لمفهومي كلٍّ منهما، مع الأخذ بعين الاعتبار التنوع في المعاني واختلاف المناهج في المجالات العلمية والسياسية على السواء. ورغم كثرة التعريفات المتعلقة بالذكاء الاصطناعيّ في العقود الأخيرة، يُمكن اعتباره مجالا علميا يسعى إلى تطوير أنظمة تستطيع تقليد القدرات الذهنية البشرية[1] وأداء المهام المعرفية ذات الصلة، بما في ذلك محاكاة أنماط التفكير والسلوك المعرفي للجنس البشري في جوهرها، فالقدرات الذهنية التي يسعى الذكاء الاصطناعيّ إلى تقليدها تتضمن العديد من الوظائف الأساسية من أبرزها:

- ✓ التفكير والاستنتاج المنطقي
- ✓ التعلم والاكتساب التدريجي للمعرفة
- ✓ الابتكار وقدرة إنشاء حلول للمشكلات المعقدة

أما الأخلاق (الإتيقا) في هذا الإطار، فهي تُحيل إلى المجموعة النظرية والتطبيقية التي تُعْنى بتحديد المبادئ والقيم الحاكمة لإنماء تقنيات الذكاء الاصطناعيّ واستغلالها، على نحو يكفل اتساقها مع المجد الإنساني، واحترام الحقوق الفردية، وتحقيق المصلحة العامة. ومن المهم التأكيد على أن هذه التعريفات ليست مخرجات نهائية أو مسلمات جامدة، بل تُمثّل نظما من المفاهيم المتجددة التي تمتثل لحوار فلسفي وعلمي متواصل يتحسن بتوسع التقنيات ذاتها وبما تُحْدِثه من تحولات في البنى الاجتماعية والمعرفية.

1-Voir Parlement européen. (2020, 7 septembre). Intelligence artificielle : définition et utilisation : https://www.europarl.europa.eu/news/fr/headlines/society/20200827STO85804/intelligence-rtificielle-definition-et-utilisation

الذكاء الاصطناعيّ وإشكاليّة الإتيقا ـــــــ

مجلّة نقد وتنوير - العدد الثامن والعشرون - السنة السابعة ـــــــ

الذكاء الاصطناعيّ وإشكاليّة الإتيقا ـــــــ

مجلّة نقد وتنوير - العدد الثامن والعشرون - السنة السابعة ـــــــ

الذكاء الاصطناعيّ وإشكاليّة الإتيقا ـــــــ

يسعى عدد من الفلاسفة والمفكرين إلى إجراء تمييز دقيقٍ بين مفهومي الإتيقا والأخلاق، معتبرين أن الإتيقا تفوق الأخلاق من حيث القيمة والمحتوى. فقد رأوا أن «الأخلاق منظومة من التوجيهات المعيارية الموجّهة إلى الفرد، في حين تستدعي الإتيقا وجود مجتمعٍ من الكائنات الأخلاقية، وبذلك تُعدّ الأخلاق ذات بعد شخصي وذاتي، بينما تُدرَك الإتيقا باعتبارها بعداً جماعياً وموضوعياً[1]». ومع ذلك، لا يمنع هذا التمييز من وجود علاقة وطيدة بين المفهومين، حيث يبقيان، في الكثير من الحالات، متشابكين ومتطابقين أحياناً. كما تشير التعريفات في المعاجم الفلسفية الفرنسية إلى هذا التداخل؛ حيث تُعرِّف الإتيقا بأنها «فرع من الفلسفة يهتم بأسس الأخلاق، وبالمبادئ التي تُوجّه سلوك الإنسان»[2]، كما تُعرّف أيضاً بوصفها «العلم الذي يبحث في قواعد تنظيمي الفعل والسلوك الأخلاقي[3]». ولا تُساعد الجذور الاشتقاقية للمصطلحين على التمييز بينهما؛ فكلّ من لفظتي "الإتيقا" (من اليونانية) و"الأخلاق" (من اللاتينية) تستندان إلى جذرٍ واحدٍ يدلّ على الآداب والسلوك وأنماط التعايش.

ومع ذلك، يمكن اعتبار الأخلاق بوصفها نتاجاً ثقافياً واجتماعياً يهدف إلى المحافظة على استمرارية الجماعات من خلال الالتزام والطاعة، بينما تُفهم الإتيقا على أنها ممارسة فلسفية نقدية تأملية. ووفقاً لبوريس بارو، تعكس الأخلاق «مجموعةً من النماذج الفكرية والسلوكية الملموسة المرتبطة بثقافةٍ أو جماعةٍ ما في سياقٍ مكانيٍّ وزمانيٍّ محدّد، في حين تمثل الإتيقا عمليةَ تقويمٍ منهجيةً لهذه النماذج من منظورٍ نظري[4]». ومن هذا المنطلق، تُعدّ الأخلاق ظاهرةً اجتماعية محسوسة، بينما تُفهم الإتيقا باعتبارها نشاطاً فلسفياً تأملياً. ويذهب أندريه كومت-سبونفيل إلى طرح تمييزٍ أكثر جذرية، إذ يرى أن «العلاقة بين الأخلاق والإتيقا تتخذ صورةَ تقابلٍ بين المطلق والنسبي، والعام والخاص، واللامشروط والمشروط؛ فالأخلاق تأمر، أما الإتيقا فتنصح[5]». ويضيف أن «الإتيقا خطاب معياري غير إلزامي، ينشأ من التمييز بين الخير والشر باعتبارهما قيمتين نسبيتين، وهي بناءٌ معرفيٌّ واختياريٌّ يسعى إلى تنظيم الرغبات تنظيماً عقلانياً، مجيباً عن سؤال: "كيف ينبغي أن نعيش؟". وتُدرَك الإتيقا، في هذا الإطار، على أنها فنٌّ العيش يوجّه نحو السعادة ويبلغ أوجَه في الحكمة. [...] فهي مسارٌ عقليٌّ وعمليٌّ للارتقاء نحو العيش الفاضل أو نحو تقليل الشرور الممكنة، وهي في النهاية التعبير الأسمى عن الحكمة[6]».

بهذا الشكل، وبعيداً عن الرأي الذي يربط الإتيقا بـ"فن العيش" ويعتبرها مرتبطة تقريبياً بالفلسفة، تُمَفْهَم الإتيقا، في سياقات أخرى، بوصفها نظاما يتكون من القيم والمفاهيم التي تحددها وتقرّها جهات عتمة وخاصة. من هذا المنطلق، فإن دراسة إتيقا الذكاء الاصطناعيّ تعني، في الأساس، «البحث في الأسس

1- Barraud, Boris, Ethique de l'intelligence artificielle, Op, Cit, p. 7.

2- « Ethique », (2017), in Dictionnaire Larousse de la langue française

3- « Ethique », in dictionnaire Trésor de la langue française, consulté le 08/05/2024 à 10H30mn : http://stella.atilf.fr/Dendien/scripts/tlfiv5/advanced.exe?8;s=1621083960 ;

4- Barraud, Boris, Ethique de l'intelligence artificielle, Op, Cit, p. 8.

5- Comte – Sponville, André, (2001), Dictionnaire philosophique, éd. Puf, coll. Perspectives critiques, p. 218.

6- Ibid., p.219.

الذكاء الاصطناعيّ وإشكاليّة الإتيقا ـــــــ

حققه الإنسان على كوكب الأرض[1]». غير أنّ هذا الازدهار التقني رافقته تساؤلات أخلاقية وإشكالات اجتماعية واقتصادية عميقة تتعلق بحدود استقلالية الآلة، والمسؤولية، وعدالة الخوارزميات، ومستقبل العمل الإنساني.

ومع اتساع نطاق البحث وتعدد المقاربات، تباينت التعريفات المقدَّمة للذكاء الاصطناعيّ دون أن يُسجَّل بينها اتفاقٌ شامل. ويعكس هذا التعدد الطبيعة البينية للمجال وتداخل علوم الحاسوب والهندسة الرياضية والروبوتات والفلسفة وعلم النفس الإدراكي في بنائه النظري والتطبيقي. ومع ذلك، تكاد الدراسات تتفق على التمييز بين بعدين رئيسيين في هذا الحقل: أحدهما نظري أو علمي يُعنى بفهم مبادئ التفكير والتمثيل المعرفي، والآخر عملي أو تكنولوجي يركّز على تطوير النظم القادرة على أداء المهام التي تستلزم عادةً ذكاءً بشريا.

يرتبط الجانب النظري من الذكاء الاصطناعيّ، وفقاً لمارغريت بودن، «باستخدام مفاهيمه ونماذجه للإجابة عن أسئلة جوهرية تتعلق بالإنسان والكائنات الحية الأخرى[2]». ويُبرز هذا البعد صلة وثيقة بين الذكاء الاصطناعيّ وعددٍ من الحقول المعرفية كالفلسفة، والمنطق، واللغويات، وعلم النفس، والعلوم المعرفية. ومن بين الأسئلة المركزية التي يطرحها هذا الجانب: ما طبيعة الذكاء؟ وكيف يمكن التمييز بين الذكاء "الطبيعي "و"الاصطناعيّ"؟ وهل يُمكن تحقيق ما يُسمّى بـ"الذكاء الاصطناعيّ القوي" القادر على التفكير الشمولي المستقل، في مقابل "الذكاء الاصطناعيّ الضعيف" المقتصر على أداء مهام محددة؟ وعلى الرغم من الطابع التجريدي لهذه الأسئلة، فإنها تمتلك أبعاداً أنطولوجية وميتافيزيقية عميقة تتصل بمسائل جوهرية كتفرّد الوعي الإنساني، وحدود الإرادة الحرة، وإمكان نقل الملكات العقلية إلى أنظمة غير عضوية. ومن هنا تنبثق دلالات إتيقية غير مباشرة لكنها حاسمة في توجيه الموقف المعاصر من العلاقة بين الإنسان والآلة.

وتُقسم أهداف الذكاء الاصطناعيّ، في هذا الإطار، إلى شقّين متكاملين: شقّ تكنولوجي يرمي إلى تطوير أنظمة قادرة على أداء مهام مفيدة باستخدام تقنيات حوسبية قد تختلف جذرياً عن آليات الإدراك البشري، وشقّ علمي يسعى إلى توظيف تلك النماذج لفهم أعمق للإنسان والكائنات. ورغم أنّ معظم الباحثين يميلون إلى التركيز على أحد هذين الشقّين، فإن بعض المقاربات المعاصرة تحاول الجمع بينهما في مقاربةٍ معرفية موحّدة. وهكذا، لم يعد الذكاء الاصطناعيّ مجرد حقل هندسي أو تقني، بل أصبح أداةً للتفكير في طبيعة الحياة والوعي والعقل البشري ذاته، محدثاً أثراً بالغاً في مسار تطوّر علوم الحياة والعلوم الإنسانية معاً. وقد يُشكّل الذكاء الاصطناعيّ البراغماتي أو التكنولوجي التطبيقي الأبرز ضمن منظومة الذكاء الاصطناعيّ، وهو محور اهتمام الهندسة وعلوم الحاسوب العملية. يستند هذا الاتجاه إلى الفروع الكلاسيكية للمجال، مثل «معالجة اللغة الطبيعية، وتمثيل المعرفة، والاستدلال الآلي، والتعلم الآلي،

1- د. الخطاط، خالد، "الذكاء الاصطناعي ومآلات النزعة الإنسانية"، مجلة أُريد الدولية للعلوم الإنسانية والاجتماعية، عدد خاص (2)، المجلد السادس، مارس 2024، ص4.

2- Boden, Margaret, A. (2016), AI: Its Nature and Future, Oxford, Oxford University Press, p. 2.

الذكاء الاصطناعيّ وإشكاليّة الإتيقا ـــــــ

"هوامش" أنظمة الذكاء الاصطناعيّ. وبعبارة أخرى، تُتَّهَم المقاربة المبدئية السائدة بأنها تُغفل السياقات الاجتماعية والسياسية التي تتشكل فيها التقنيات، فتظل أقرب إلى خطاب معياري عامّ من أن تكون أداة فاعلة في تحقيق عدالة تكنولوجية ملموسة.

في هذا السياق، بدأت تتبلور اتجاهات نقدية بديلة، تُصنَّف إجمالاً ضمن ما يُسمى بـ"إتيقا العدالة" و"الإتيقا المتمركزة حول السياق". تنطلق هذه المقاربات من التسليم بأن أي إطار لأخلاقيات الذكاء الاصطناعيّ لا يكون كافياً ما لم يضع أسئلة العدالة التوزيعية، وعدم التهميش، والمشاركة الفعلية للفئات المتضررة في قلب التحليل المعياري .كما تشدّد على ضرورة ربط تقييم النظم الخوارزمية بالبُنى المؤسسية والاجتماعية التي تعمل ضمنها، مع مساءلة علاقات السلطة التي تتحكم في تعريف المشكلات التقنية، وتحديد الأهداف التنموية، وتوزيع المنافع والأعباء الناجمة عن الابتكار . ويمثّل الانتقال من "إتيقا قائمة على المبادئ المجرّدة" إلى "إتيقا قائمة على العدالة والسياق" محاولةً لإعادة تسييس النقاش حول الذكاء الاصطناعيّ، وذلك من خلال وصل الأسئلة الأخلاقية المعيارية بقضايا الحكم الرشيد، والمساءلة، والإنصاف المؤسسي، بدلاً من الاكتفاء بإجراء تعديلات موضعية على تصميم الخوارزميات أو مؤشرات الامتثال التنظيمي. وبهذا المعنى، تسعى هذه المقاربات إلى جعل أخلاقيات الذكاء الاصطناعيّ أداة لإعادة توزيع السلطة والفرص وتحقيق شروط أكثر عدلاً للمشاركة في صناعة المستقبل الرقمي، لا مجرد إطار لضبط المخاطر التقنية ضمن الوضع القائم.

تتمثل الأطروحة المركزية لهذه الدراسة في ضرورة تناول إطار إتيقا الذكاء الاصطناعيّ بوصفه نظرية نقدية قادرة على ردم الهوة القائمة بين المبادئ المعيارية المجرّدة والتطبيقات التقنية الفعلية. فمن هذا المنظور، يُفهم كل مبدأ من المبادئ المتداولة في أخلاقيات الذكاء الاصطناعيّ ـ مثل العدالة والشفافية والاستقلالية ـ على أنه متجذر، في جوهره، في قيمة أعمّ هي تحرير الإنسان وتعزيز قدرته على توجيه شروط وجوده. وبهذا المعنى، تلتقي إتيقا الذكاء الاصطناعيّ مع أهداف النظرية النقدية في تشخيص آثار التقنيات الناشئة وتوجيهها بما يخدم توسيع آفاق التحرر الإنساني بدل تكريس أنماط جديدة من السيطرة. انطلاقاً من هذه الرؤية، يصبح تحليل علاقة مبادئ الذكاء الاصطناعيّ بمسائل السلطة والهيكليات الاجتماعية مدخلاً ضرورياً لربط المستوى الأخلاقي التجريدي بالسياقات الاجتماعية والسياسية التي تعمل ضمنها التقنيات الذكية. فمقاربة نقدية من هذا النوع تسهم في تجاوز قصور المقاربات المبدئية السائدة، التي تكتفي عادة بصياغة معايير عامة دون تفكيك البُنى التي تحدد من يضع هذه المعايير، ومن يستفيد من تطبيقها، ومن يتحمل كلفة انحيازاتها ومآلاتها.

ولا يمكن فصل هذا التحول النقدي عن المكانة المتعاظمة للذكاء الاصطناعيّ، الذي يُنظر إليه على نطاق واسع بوصفه «ثورة تقنية» مستمرة تعيد تشكيل مشهدَي العلم والمجتمع على نحو جذري، خصوصاً في مجالات كالرعاية الصحية، والبحث العلمي، والحوكمة الرقمية، والعمل والاقتصاد. غير أنّ هذه القوة التحويلية الهائلة، المتمثلة في التغلغل الواسع للتطبيقات الذكية في مختلف مناحي الحياة، أثارت في المقابل أسئلة عميقة حول منظومة القيم والمبادئ التي ينبغي أن تحكم تطوير الذكاء الاصطناعيّ وتوظيفه في

الذكاء الاصطناعيّ وإشكاليّة الإتيقا ـــــــ

الذكاء الاصطناعيّ بغرض تحديد الموضوعات وصياغة ادعاءات معيارية بشأن حالة إتيقا الذكاء الاصطناعيّ[1]».

يُشكّل التفاعل بين الذكاء الاصطناعيّ والقدرات البشرية تحديات جديدة تتجاوز المشكلات التقنية إلى قضايا معرفية وديمقراطية مهمة. فأنظمة التوصية المستخدمة في التواصل الاجتماعي ومواقع الأخبار يمكن أن تسهم، من خلال تقنيات الاستهداف الدقيق وترتيب المحتوى، في انتشار المعلومات الخاطئة. هذا الأمر يُؤثر على فهم الجمهور للحقائق ويُقلل من فرص النقاش العام الواعي والمشاركة السياسية الفعالة. لمواجهة تلك التعقيدات، ظهر «مصطلح أخلاقيات الذكاء الاصطناعيّ والروبوت، والتي تعني بضرورة إعطاء الآلات المبادئ الأخلاقية والإجراءات اللازمة لاكتشاف أساليب لحلّ المعضلات الأخلاقية التي قد تواجهها وتمكنها من العمل بطريقة مسئولة أخلاقيا[2]». لذلك، يتواجد الذكاء الاصطناعيّ في نقطة حاسمة بين قدراته الكبيرة وإمكانية خلق إطار معياري وتنظيمي يُوجّه تلك القوة لخدمة الإنسان والحفاظ على كرامته، بدلا من تعميق سيطرة أو تهميش.

في السنوات الأخيرة، أصبحت القضايا الأخلاقية في التكنولوجيا أكثر إلحاحاً، خاصة بعد الفضائح والسلوكيات غير المسؤولة في عالم الأعمال. هذا الأمر زاد من أهمية فهم المبادئ الأخلاقية وتطبيقها من أجل تعزيز ممارسات مهنية سليمة. لقد أسهم التعلّم الآلي، بشكل خاص، في تعزيز بعض أنماط التحيّز التي تؤدي إلى تفاقم الفجوات والتمييز وتهدد التنوع الثقافي والاجتماعي، خصوصا عند استخدام النماذج في مجالات مثل التوظيف، والائتمان، وإنفاذ القانون. كما أظهرت القوة الكبيرة لتقنيات الذكاء الاصطناعيّ الفجوات الموجودة بين الأفراد والمجموعات والدول، من خلال توسيع "الفجوة الرقمية" داخل البلدان وبينها. ويمكن أن تتزايد هذه الفجوة بسبب عدم تكافؤ الوصول إلى العناصر الأساسية اللازمة لتطوير هذه التقنيات، مثل الخوارزميات المتقدمة، وبيانات التدريب والتقييم عالية الجودة، والمهارات البشرية المتخصصة في البرمجة وتحليل البيانات، بالإضافة إلى البنى التحتية التكنولوجية اللازمة للتخزين والمعالجة على نطاق واسع.

أثار تطور الذكاء الاصطناعيّ إشكاليات إتيقية عميقة، من أبرزها انتهاك خصوصية البيانات، وترسيخ التمييز الخوارزمي، وإشكالية إسناد المسؤولية عن القرارات الصادرة عن الأنظمة المستقلة. استجابةً لهذه التحديات، يعمل المنظمون والخبراء على بلورة سياسات وأطر توجيهية تهدف إلى ضمان الاستخدام المسؤول والأخلاقي لهذه التقنيات في مختلف القطاعات. ومن ثمّ، تغدو ضرورة إرساء مبادئ إتيقية واضحة وقوية لتوجيه تطوير الذكاء الاصطناعيّ واستعماله مسألة مركزية، وتشمل هذه المبادئ على وجه الخصوص: الشفافية، والمساءلة، والعدالة، والخصوصية، والأمن، بما يجعل الالتزام بها بمثابة ضمانة أساسية لاستخدام هذه التقنيات على نحو يعود بالنفع على المجتمع ككل. وتكمن خصوصية التحديات الأخلاقية

1- Crawford K, Et autre, (2019), New York, p.20. In, https:// ainow institute. org/ AI_ Now_ 2019_ Report. html.

2- د. دويدار، عبد الفتاح محمد، الذكاء الاصطناعي: تحدياته وتطلعاته، مرجع سابق، ص209.

الذكاء الاصطناعيّ وإشكاليّة الإتيقا ـــــــ

وبحكم العادة، يولّد لدى الإنسان حاجات ورغبات جديدة تجعله مستلبا لا يقوى على التخلي عن إشباعها بعد ما كان حرا مكتفيا بإشباع حاجاته الطبيعية[1]».

4- خاتمة:

شكّلت مسألة الأخلاقيات في سياق الذكاء الاصطناعيّ محور نقاش متنامٍ داخل الدوائر الأكاديميّة والتقنية، إذ تتقاطع فيها اعتبارات فلسفيّة واقتصاديّة واجتماعيّة. ويرى بعض الباحثين أن التركيز المفرط على البعد الأخلاقي في تطوير الذكاء الاصطناعيّ تحوّل إلى أداة خطابيّة ذات بعد تسويقي أكثر من كونه التزامًا مبدئيًا، ويرون أن التشدّد في الأطر الأخلاقية قد يؤدّي إلى إبطاء الابتكار وإضعاف المردود الاقتصاديّ والتكنولوجي، وهو ما يولّد مفارقة يعتبر فيها "الربح الأخلاقي" خسارةً على مستوى التنافسية العلمية والصناعية. في المقابل، يطرح اتجاه آخر مفهوم "إتيقا المسؤولية"، الذي يسعى إلى تجاوز النقاشات المعيارية والنظرية، معتبرًا أن الموقف الأخلاقي لا ينبغي أن يعوق التطور العلمي، بل أن يصاحبه بمرونة تضمن توازنه مع الأهداف البحثية والاقتصادية. كما يدعو هذا الاتجاه إلى صياغة أخلاقيات عملية تتيح تمويل الأبحاث مع الحفاظ على الحد الأدنى من الضوابط التنظيمية. أما الاتجاه الثالث، فيؤكد من منظور إنساني أن الذكاء الاصطناعيّ يجب أن يُوظَّف لتعزيز القدرات البشرية لا لاستبدالها، مشددًا على أن بعض القيم الأخلاقية تُعدّ جوهرية ولا يمكن تجاوزها. كما يلفت هذا الاتجاه الانتباه إلى محدودية فكرة الحياد الخوارزمي، نظرًا لما تحتويه النماذج الحسابية من تحيّزات معرفية كامنة وصعوبة تفسير نتائج التعلم العميق التي تتسم في الغالب بدرجة عالية من الغموض.

وقد أفضى التسارع الكبير في مجال الذكاء الاصطناعيّ إلى خلق فرص علمية وصناعية غير مسبوقة، لكنه في الوقت ذاته أثار تحديات أخلاقية واجتماعية تتطلب استجابة مؤسسية منسقة. ومن ثم، يبرز دور الباحثين والجهات التشريعية والقطاع الصناعي في وضع معايير أخلاقية متينة وأطر تنظيمية دقيقة تضمن الشفافية والعدالة والمساءلة في جميع مراحل تطوير هذه التقنيات. كما أن التعاون بين الخبراء في التقنية والأخلاقيات، إلى جانب تعزيز الوعي العام والتثقيف المتخصص، يمثل خطوة أساسية نحو تطوير مسؤول للذكاء الاصطناعيّ يضمن اتساقه مع المبادئ الإنسانية العامة. ويقترن ذلك بأهمية دمج الاعتبارات الأخلاقية ضمن مراحل التصميم والتنفيذ بوصفها عنصرًا بنيويًا في العملية العلمية، وليس مجرد إجراء تكميلي. كما يظل التزام بحماية البيانات واحترام التشريعات ذات الصلة بتنظيم جمعها وتداولها ومراقبتها شرطًا أساسيًا لتحقيق توازن مستدام بين حرية الابتكار والمسؤولية الاجتماعية.

إنّ تحويل الآلة من أداة حسابية جامدة إلى كيان ذكي قادر على التفكير والإبداع، أسفر عن بروز مجال بحثي جديد يُعرف بـ«أخلاقيات الآلة». وقد غدت أخلاقيات الذكاء الاصطناعيّ اليوم مسألة مجتمعية بالغة الأهمية، الأمر الذي يجعل الالتزام بمرتكزاتها الأخلاقية ضرورة مشتركة. ولتحقيق القبول الواسع للذكاء الاصطناعيّ، ينبغي التعامل بجدية مع الأسس الأخلاقية التي تحكمه، إذ إن ثقة الجمهور تشكل عنصراً

1 - د. الخطاط، خاليد، " الذكاء الاصطناعي ومآلات النزعة الإنسانية"، مرجع سابق، ص, 9,

الذكاء الاصطناعيّ وإشكاليّة الإتيقا ـــــــ

لائحة المراجع:

المراجع العربية:

1- باروخ سبينوزا، (2010)، **الإتيقا**، ترجمة وتقديم وتعليق د. أحمد العلمي، الناشر أفريقيا الشرق، الدار البيضاء.

2- بلاي ويتباي، (2008)، **الذكاء الاصطناعيّ**، ترجمة يدار الفاروق، إعداد قسم الترجمة لدار الفاروق، الناشر دار الفاروق للاستثمارات الثقافية ومؤسسة محمح بن راشد آل مكتوم، الطبعة الأولى، القاهرة، مصر.

3- خاليد الخطاط، (مارس 2024)، "*الذكاء الاصطناعيّ ومآلات النزعة الإنسانية*"، مجلة أُريد الدولية للعلوم الإنسانية والاجتماعية، عدد خاص (2)، المجلد السادس.

4- عبد الرحمان مكاوي مرام، (2018)، *الذكاء الاصطناعيّ على أبواب التعليم*، مجلة القافلة، أرامكو، المملكة العربية السعودية، مجلد 68، عدد 6.

5- عادل (بن) عبد النور عبد النور، (2005، 1426)، **مدخل إلى عالم الذكاء الاصطناعيّ**، مدينة الملك عبد العزيز للعلوم والتقنية، المملكة العربية السعودية.

6- محمد عبد الفتاح دويدار، وآخرون، **الذكاء الاصطناعيّ: تحدياته وتطبيقاته**، دار المطبوعات الجامعية، أمام كلية الحقوق – الإسكندرية- مصر، 2022.

المعاجم العربية:

1- ألان بونيه، (أبريل 1990)، **الذكاء الاصطناعيّ: و اقعه ومستقبله**، ترجمة علي صبري فرغلي، مجلة عالم المعرفة، عدد 172، الكويت، صص. 11-12.

2- أندريه لالاند، (2001)، **موسوعة لالاند الفلسفية**، تعريب خليل أحمد خليل، تعهده وأشرف عليه حصرا أحمد عويدات، الطبعة الثانية، منشورات عويدات، بيروت ـ باريس.

3- وهبه، مراد، (2007)، **المعجم الفلسفي**، الناشر دار قباء الحديثة للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة.

المراجع الأجنبية:

1- André Comte – Sponville, (2001), *Dictionnaire philosophique*, éd. Puf, coll. Perspectives critiques, Paris.

2- Anna Jobin, Marcello Ienca et Effy Vayena, (02 September 2019), **The global landscape of AI ethics guidelines,** (pp389–399), in https://www.nature.com/articles/s42256-019-0088-2

3- Boris Barraud, (2022), Ethique de l'intelligence artificielle, éd. L'Harmattan, Paris.

الذكاء الاصطناعيّ وإشكاليّة الإتيقا ـــــــ